

حمزة المصطفى\*

## المواجهة مع داعش: أسبابها وآلاتها المحتملة

تستعرض هذه الورقة التحليلية سيرورة المواجهات التي بدأت مطلع عام ٢٠١٤ بين فصائل من المعارضة السورية المسلحة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، المسمى "داعش"، وتناقش الأسباب والظروف الذاتية والموضوعية التي حتمت تلك المواجهة. تنظر الورقة في الآلات المحتملة لتلك المواجهة، بعد استعراضها حسابات جميع الأطراف المشاركة في الصراع؛ الجبهة الإسلامية، وجبهة النصرة، وجيش المجاهدين، وجبهة ثوار سورية. كما تأخذ بعين الاعتبار عوامل أخرى مثل موقف النظام ودوره في المواجهة، وأثر العوامل الخارجية. تحلل الورقة حجم تلاقي المصالح بين "داعش" والنظام، والإرباك الذي حدث للنظام نتيجة لاجتماع فصائل المعارضة السورية على قتال تنظيم "داعش" وإخراجه من المعادلة، ما أضعف رواية النظام عن الثورة، بأنها "مؤامرة سلفية إرهابية" تستهدف "علمانيته وتسامحه".

\* باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

الثاني / يناير ٢٠١٤ أمهل فيه الفصائل التي تحاربه ٢٤ ساعة لإيقاف الهجمات ضدّه، ورفع الحواجز أمام حركة مقاتليه، وإطلاق جميع أسراه، وهدّد بالتصعيد والانسحاب من جبهات القتال مع النظام في حلب (الشيخ سعيد، والنفارين)،<sup>(٥)</sup> وهو ما حصل بالفعل.

## المعركة المؤجّلة

لم تكن الحركات الجهادية مهتمة بالثورة السوريّة في مرحلة الاحتجاجات السلمية، كونها تعتمد برأيهم "تقليد وموامة" الثورات العربية الأخرى في أسلوبها وأهدافها الديمقراطية. وهو ما لا يتوافق مع أفكار الجهاديين وأهدافهم. لكن انتقال الثورة إلى مرحلة العسكرة شجّع هذه الحركات على المشاركة في القتال تحت مبرّرات دينية وفقهية، مثل "دفع الصائل". وقد ساهم عنف النظام وميليشياته، وغياب إجراءات دولية رادعة ضدّه، في غضّ الطرف شعبياً عن مشروعه الخاص، والذي لا يتقاطع مع أهداف الثورة إلا في عداة النظام<sup>(٦)</sup>، فانتمت هذه الحركات من طرفٍ غير مرغوب في مشاركته بداية الثورة، إلى فاعلٍ مرحّب به في قتال النظام.

”

لكن انتقال الثورة إلى مرحلة العسكرة شجّع هذه الحركات على المشاركة في القتال تحت مبرّرات دينية وفقهية، مثل "دفع الصائل"

“

تعود بداية الصدام بين الجهاديين وفصائل المعارضة إلى شهر نيسان / أبريل ٢٠١٣؛ فبعد أن أعلن زعيم تنظيم دولة العراق الإسلامية أبو بكر البغدادي في ٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٣ اندماج فصيله والنصرة في جسم واحد سمّاه "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، انضمّ غالبية المقاتلين الأجانب (المهاجرون) إلى التنظيم الجديد، و"بايعوه" أميراً عليهم<sup>(٧)</sup>. وهاجموا مقارّ "جبهة النصرة" في حلب وإدلب والرقة.

٥ "الدولة الإسلامية تهدّد بوقف قتالها للنظام السوري"، الجزيرة نت، ٢٠١٤/١/٥، على الرابط: <http://aljazeera.net/news/pages/d21186fe-2756-4161-a849-8373260022f7>

٦ عزمي بشار، سورية درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن، ط١ (بيروت/ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣)، ص ٣٤٦-٣٤٨.

٧ رفض الجولاني في ١٠ نيسان/أبريل ٢٠١٣ الدمج، وأعلن بقاء جبهة النصرة، وطلب التحكيم من زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري الذي أصدر بياناً في حزيران/يونيو ٢٠١٣

منذ بداية عام ٢٠١٤، بدأت مناطق عدّة من شمال سورية وشرقها تشهد مواجهاتٍ عنيفة بين فصائل إسلامية وكتائب من الجيش الحرّ من جهة، وتنظيم دولة الإسلام في العراق والشام "داعش" من جهةٍ أخرى. وقد بدأت المواجهات إثر تجهّز "داعش" لاقتحام مدينة الأتارب ومعبر باب الهوى في ريف حلب الغربي؛ وهما منطقتان تسيطر عليهما المعارضة منذ أكثر من عام، الأمر الذي دفع فصائل منضوية في جيش المجاهدين<sup>(٨)</sup> إلى مهاجمة مقارّ داعش (٣ كانون الثاني / يناير ٢٠١٤) في الأتارب، وفي الأحياء الغربية لمدينة حلب. ولم تلبث جبهة ثوار سورية<sup>(٩)</sup> أن أعلنت مشاركتها؛ فاقتحمت غالبية مقارّ "داعش" في ريف إدلب. وطالبت الجبهة في بيانٍ أصدرته في ٣ كانون الثاني/يناير ٢٠١٤ منتسبي التنظيم تسليم مقارّهم وأسلحتهم. وأمهل المقاتلين العرب والأجانب في التنظيم (المهاجرين) ٢٤ ساعة للانشقاق والانضمام إلى كتائب الجيش الحرّ، أو مغادرة سورية نهائياً<sup>(١٠)</sup>. كما شاركت فصائل من الجبهة الإسلامية؛ فحاصرت مقارّ "داعش" الرئيس في محافظة إدلب (بلدة الدانا). واشتبكت معه في ريف حلب الشمالي والغربي، والرقة. وفي خطوة غير مسبوقة، أصدرت الجبهة الإسلاميّة بياناً اتّهمت فيه "داعش" بشنّ حربٍ على الفصائل المقاتلة في الأتارب وغرب حلب. وطالته بالانسحاب الفوري، والكفّ عن قتل "المجاهدين" بذرائع واهية، وإعادة الأسلحة والمقارّ المغتصبة<sup>(١١)</sup>.

وكانت نتيجة المواجهات، انسحاب مقاتلي "داعش" من معظم مقارّهم في ريف حماة، وريف إدلب، ومدينة حلب وريفها، إلى الرقة حيث أعادوا تجمّعهم، وطرّدوا جميع الكتائب المقاتلة فيها واستولوا على مقارّها. وقاموا بهجومٍ مضادّ استخدموا فيه السيارات المفخّخة والعمليات الانتحارية؛ لإعادة السيطرة على المناطق التي فقدوها ولا سيّما في ريف حلب الشرقي والشامي. ونجحوا في إعادة السيطرة على مدن منبج، والباب، وجرابلس. وكان التنظيم أصدر بياناً يوم ٤ كانون

١ أعلن عن تأسيسه ٢٠١٤/١/٢، ويضمّ مجموعة من الفصائل الإسلامية الفاعلة في حلب وريفها؛ وهي: "كتائب نور الدين الزنكي الإسلامية"، و"لواء الأنصار"، و"تجمع فاستقم كما أمرت"، و"لواء الحرية الإسلامي"، و"لواء أمعاء الإسلام" (الفرقة ١٩)، و"لواء جند الحرمين"، و"حركة النور الإسلامية".

٢ وهو تجمّع يضمّ نحو ١٤ فصيلاً وكتيبة، يترأسه جمال معروف قائد تجمّع كتائب وألوية شهداء سوريا سابقاً، وينشط بصورة رئيسة في إدلب وحماة. وكان يتبع لهيئة الأركان العسكرية للجيش الحر برئاسة سليم إدريس.

٣ "ثوار سوريا: تمهل مقاتلي داعش ٢٤ ساعة للانشقاق أو مغادرة البلاد"، أورينت نت، ٢٠١٤/١/٣، على الرابط:

[http://www.orient-news.net/?page=news\\_show&tid=7006](http://www.orient-news.net/?page=news_show&tid=7006)

٤ صفحة الجبهة الإسلامية على الفيسبوك، تاريخ المشاهدة: ٢٠١٣/١/٤.

بيان أصدره في ١ كانون الثاني / يناير ٢٠١٤، وصف الائتلاف الوطني المعارض تنظيم "داعش" بـ "الإرهابي". ولفت إلى أن علاقة عضوية تربطه مع النظام السوري، وأن "سيل دماء السوريين على يد هذا التنظيم رفع الشك نهائياً عن طبيعته الإرهابية والمعادية للثورة"<sup>(٩)</sup>.

”

لكن الأمور أخذت منحى الصدام المسلح عندما بدأ "داعش" يتجهز لاقتحام بلدة الأتارب رثة الإمداد الوحيدة المتبقية من تركيا عبر معبر باب الهوى بالنسبة إلى فصائل المعارضة

“

على أهميتها، لم تمثل المعطيات السابقة دافعاً رئيساً للمواجهة المسلحة مع "داعش"؛ فالكثائب الصغرى (الأكثر تعريضاً لاعتداءات "داعش") لم تكن قادرة على ذلك بحكم اختلال موازين القوى، ونهج القتال الذي يتبعه التنظيم (المفخخات، والعمليات الانتحارية)، ما جعلها لا تردّ على انتهاكاته. أما الفصائل الكبرى كالجبهة الإسلامية، فعلى الرغم من اعتداءات "داعش" المتكررة، فقد رفضت الصدام المسلح، وفضّلت اللجوء إلى وسائل أخرى لحلّ الخلافات؛ كالتحكيم الشرعي. لكن الأمور أخذت منحى الصدام المسلح عندما بدأ "داعش" يتجهز لاقتحام بلدة الأتارب رثة الإمداد الوحيدة المتبقية من تركيا عبر معبر باب الهوى بالنسبة إلى فصائل المعارضة؛ فسيطرة "داعش" على هاتين النقطتين (الأتارب، ومعبر باب الهوى) تعني تحكّمه تحكّمًا كاملاً في جميع خطوط الإمداد في ريف حلب الغربي والشامي والشرقي، بخاصة بعد أن فرض سيطرته على مدينة أعزاز الحدودية مع تركيا وعدد كبير من قرى ريف حلب الشمالي، وعلى مدينة الباب في ريف حلب الشرقي (انظر الخريطة). انطلاقاً من ذلك، سارعت الكثائب المتضررة (جيش المجاهدين) إلى الدخول في مواجهة مسلحة ضدّ "داعش" ضمن بلدة الأتارب ومحيطها، سرعان ما توسّعت إلى باقي المناطق نتيجة تضافر جميع العوامل السابقة.

واستولوا عليها بالقوة. ومنذ ذلك الحين، بدأ "داعش" الاستيلاء على المناطق "المحرّرة" بقوة السلاح. وأجبر الكثائب الصغيرة والعشائر والأهالي في المناطق التي يحتلّها على بيعه أميره البغدادي. وفرض عليهم الاحتكام إلى محاكمه الشرعية، والتعلّم في كتائبه ومدارسه. وارتكب جرائم قتل وإعدام كثيرة، بذرائع عدة. وقيد مقاتلوه حياة المدنيين؛ فأجبروا النساء على ارتداء الحجاب والنقاب، ومنعوا الاختلاط، وأغلّقوا المسارح والمعارض الفنية، وهاجموا الأديرة، وحوّلوا الكنائس إلى مقارّ لهم، ومنعوا رفع علم الثورة، وقتلوا النشطاء والإعلاميين واعتقلوهم بذريعة العمالة للائتلاف الوطني "العميل" بدوره لأمركا.

بعد هدوء بعض الجبهات المفتوحة مع النظام مؤخراً، تفرّغ مقاتلو "داعش" تفرّغاً شبه كامل لمحاربة كثائب المعارضة بذريعة "الكفر"، و"الردة"، و"تشكيل صحوات"، و"التعاون مع الأُميركان"... وغير ذلك؛ فهاجموا الكثير من المقارّ؛ بينها أحفاد الرسول في الرقة (١٣ آب / أغسطس ٢٠١٣)، وأحرار الشمال في أعزاز (١٨ أيلول / سبتمبر ٢٠١٣)، ومقارّ الجيش الحرّ في حران (٢٢ أيلول / سبتمبر ٢٠١٣)، ولواء التوحيد في برصايا (١٥ تشرين الثاني / أكتوبر ٢٠١٣)... وغيرها. واغتالوا الكثير من القيادات من أبرزهم؛ فادي القش قائد لواء "الحمزة أسد الله" في بلدة الدانا (٦ تموز / يوليو ٢٠١٣)، وكمال حمامي القيادي في هيئة الأركان وقائد "كثائب العزّ بن عبد السلام" في الساحل (١١ تموز / يوليو ٢٠١٣)، ويوسف العشراوي رئيس الهيئة الشرعية في أعزاز (٧ آب / أغسطس ٢٠١٣)، وفهمي نينال الملقّب بـ "أبو عبيدة البنشني" المسوؤل الإغاثي في حركة "أحرار الشام" (١٠ أيلول / سبتمبر ٢٠١٣)، وحسين السليمان القيادي في حركة "أحرار الشام" (٣١ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٣)<sup>(١٠)</sup>.

ساهم ذلك في زيادة حالة الاحتقان الشعبي ضدّ "داعش"، ما دفع الروابط والهيئات الإسلامية السورية إلى إصدار بيان في ٢٢ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٣ اتّهمت فيه "داعش" بتعمّد افتعال الخلافات مع فصائل المعارضة، ودعته إلى عدم التدخّل في شؤون السوريين، والكفّ عمّا وصفته بالتصرّفات التي تدعو إلى الفتنة والشر<sup>(٩)</sup>. وفي

أعلن فيه فضّ الدمج. لكن، رفض أبو بكر البغدادي قرار الظواهري، وعدّه خاطئاً، وعليه مؤاذات شرعية. وأعلن عن بقاء الدولة الإسلامية في العراق والشام.

٨ للاطلاع بالتفصيل على الانتهاكات التي قام بها داعش، راجع تقرير الشبكة السورية لحقوق الإنسان بعنوان "تنظيم دولة العراق والشام: نشأته وتوثيق لأبرز الانتهاكات التي قام بها"، والذي صدر بتاريخ ٢٠١٤/٤/٢.

٩ الهيئات والروابط التي وقّعت البيان: هيئة الشام الإسلامية، ورابطة العلماء السوريين، وعلماء ودعاة الثورة، والهيئة الشرعية في حلب، ورابطة خطباء الشام، وجمعية علماء الكرد

في سوريا، والملتقى الإسلامي السوري، وهيئة العلماء الأحرار. انظر: "الهيئات الإسلامية بسوريا:

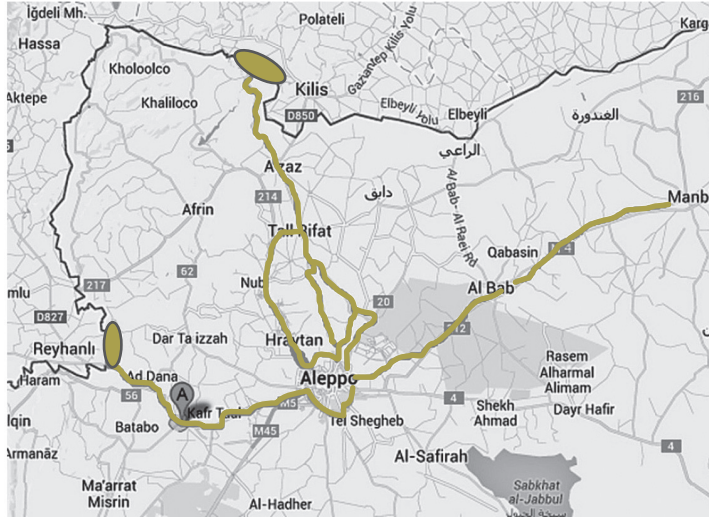
سلوك 'داعش' يدعو للفتنة والشر"، العربية نت، ٢٠١٣/١٢/٢٢، على الرابط:

<http://goo.gl/m90k4P>

١٠ "الائتلاف يصف تنظيم 'داعش' بالإرهابي عقب مقتل مدير معبر حدودي.. ويدعو المقاتلين للانسحاب منه"، سوريا نيوز، ٢٠١٤/١/١١، على الرابط:

[http://www.syria-news.com/readnews.php?sy\\_seq=166221](http://www.syria-news.com/readnews.php?sy_seq=166221)

خريطة طرق الإمداد الرئيسية والمعابر الحدودية لمدينة حلب



— طرق الإمداد الرئيسية لمدينة حلب (الباب شرقاً، أعزاز شمالاً، الأتارب وباب الهوى غرباً).  
● المعابر الحدودية (باب السلامة شمالاً، وباب الهوى غرباً).

مفخخًا، وأعدم مئات الأسرى في حلب<sup>(١١)</sup>، وإدلب، والرقّة<sup>(١٢)</sup>، من ضمنهم ١٠٠ مقاتل من حركة "أحرار الشام الإسلامية" أُعدموا ودُفِنوا في مقبرة جماعية. وقد وصل به الأمر حدّ إعدام أمير "جبهة النصرة" في الرقة، "أبو سعد الحضرمي"، بتهمة الردّة<sup>(١٣)</sup>. هذه القسوة تجعل كثيرًا من الكتابات الصغرى تخشى الصدام مع التنظيم، وتتخذ موقفًا محايدًا ممّا يجري. يضاف إلى ذلك أنّ مقارّ التنظيم تنتشر على رقعة جغرافية كبيرة تمتدّ من البوكمال شرقًا إلى ريف اللاذقية غربًا؛ ما يعني قدرته على إعادة تنظيم قواه المنسحبة من مناطق المواجهات، والاستيلاء على قرى جديدة لإقامة مقارّه فيها، ومن ثمّ التجهّز للهجمات المضادّة في المناطق التي خسرها.

١١ وجد مقاتلو المعارضة بعد سيطرتهم على مستشفى الأطفال المقرّ الرئيس لداعش في مدينة حلب، نحو ٥٠ جثة جرى إعدامها ميدانيًا بأيدي مقاتلي التنظيم. انظر: "حلب «خالية من داعش» ومعارك في الرقة.. وأنباء عن مجازر"، الشرق الأوسط، ١٩/١٠/٢٠١٤، على الرابط: <http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=756929&issue-no=12826#.Uto6KJ6Swy4>

١٢ بعد سيطرة مقاتلي الجبهة الإسلامية على قرية الدانا المقرّ الرئيس لداعش في محافظة إدلب، اكتشف نحو ٥ مقابر جماعية تضمّ عشرات الجثث لأشخاص جرى إعدامهم على يد مقاتلي داعش بالقرب من مبنى المحكمة الشرعية التابع لها. انظر: "نشطاء: العثور على مقابر جماعية في مقرات لداعش بحلب وإدلب"، سيريا نيوز، ١٢/١٠/٢٠١٤، على الرابط: [http://www.syria-news.com/readnews.php?sy\\_seq=166507](http://www.syria-news.com/readnews.php?sy_seq=166507)

١٣ انظر بيان داعش في تويتر: <https://twitter.com/raqqa98/status/422302662940319744/photo/1>

## مآلات الصراع المحتملة

تعدّ المواجهة مع "داعش" حدثًا مفصليًا ونقطة تحوّل مهمة في مسار الصراع الجاري في سورية؛ إذ دحضت الادّعاءات التي تربط التنظيم بالثورة السوريّة وتعدّه من فصائل المعارضة، وتعاملت معه بوصفه عدوًّا مثلما تتعامل مع النظام، ومع حزب الله، والمليشيات العراقية والطائفية الأخرى. وعلى الرغم من أنّ المواجهة الحاصلة ستكون خطوة على طريق طويل لطرده "داعش" من سورية، فمن المبكر توقّع هزيمة التنظيم واندثاره في المدى المنظور لأسباب عدّة منها:

### قوة التنظيم

تتمكّن قوّة التنظيم في أسلوبه القتالي ومستوى إجرامه؛ بمعنى أنّ عناصره المغيبة فكريًا، والمعزولة اجتماعيًا عن محيطها لا تتورّع عن أيّ فعلٍ في سبيل ما تراه حماية "الخلافة"، و"بيعة الأمير". وعليه، فإنّ كلّ "خروج" عنها يعدّ "كفرًا" يجب قتاله بالأسلوب المتّبع والمفضّل، وهو السيارات المفخّخة والعمليات الانتحاريّة؛ فمنذ بدء المواجهات مع مقاتلي المعارضة، نفّذ التنظيم أكثر من ٣٠ هجومًا انتحاريًا أو

## تباين حسابات الفصائل المشاركة

تختلف هذه الحسابات بحسب موقع كل فصيل وقوّته وتوجّهاته السياسية، والفكرية وفقاً لما يلي:

**الجهة الإسلامية:** كان "لواء التوحيد" و"جيش الإسلام"، من الفصائل الأكثر حماسة ضمن الجهة الإسلامية لمقاتلة "داعش" بوصفه خطراً يجب استئصاله كونه يتمدد ويتوسّع في المناطق الخاضعة لهما. وفصّلت فصائل أخرى في الجهة ولا سيّما "حركة أحرار الشام" (وهي من أكثر الفصائل تضرراً وأذىً من "داعش")، و"لواء الحق"، و"ألوية صقور الشام" عدم الانجرار إلى مواجهة شاملة وطويلة مع "داعش"؛ إذ رأت أنّ القتال الجاري "فتنة"، المستفيد الأول منها هو نظام الأسد. وكانت هذه الفصائل تنظر إلى الخلافات مع "داعش" من منظور ضيق، فقد كانت لا تمنع في وجوده ونشاطه، بل لديها تحفّظ على أسلوبه وسلوكه كونه لا يرى نفسه فصيلاً فحسب، بل يعلن نفسه "دولة" على الآخرين الانضمام إليها، ومبايعة أميرها، والاحتكام إلى محاكمها. تأسيساً على ذلك، سعى بعض قادة "الجهة الإسلامية" بالتنسيق مع الداعية السعودي السلفي عبد الله المحيبي إلى تقديم مبادرة للوساطة نصّت على: وقف إطلاق النار، ورفع الحواجز، وإطلاق الأسرى، وعدم الاعتداء على المقاتلين الأجانب (المهاجرين)، وإنشاء محكمة شرعية مستقلة وقضاة مستقلّين<sup>(١٤)</sup>.

**جهة النصر:** لقد تباينت حساباتها بحسب مسار المواجهة وتطوّرها؛ ففي البداية، وعلى الرغم من مشاركتها بصورة محدودة في قتال "داعش"، رفضت النصر الإعلان عن ذلك صراحةً، واكتفت بانتقاد "داعش" وما عدّته "السياسة الخاطئة"، والتي ساهمت في إشعال الصراع وإذكائه. ويمكن ردّ ذلك إلى خشيتها من أن يرفع التنظيم العالمي لقاعدة الجهاد وزعيمه أيمن الظواهري، الغطاء عنها، ما يؤدّي إلى فقدان ما تعدّه "الحماية" و"الشرعية" أمام محاولات "داعش" "إبتلاعها"<sup>(١٥)</sup>، بخاصة أنّ عدداً من المنظرين الجهاديين اصطفّوا إلى

١٤ انظر حساب عبد الله المحيبي في تويتر، تاريخ المشاهدة ٢٠١٤/١/٦، على الرابط:

<https://twitter.com/mhesne>

١٥ نتيجة تردّد الظواهري في التعليق على القتال الدائر في سورية وعدم انتقاد "داعش"، وجه القيادي في تنظيم القاعدة أبو خالد السوري في تسجيل صوتي منسوب إليه نُشر على شبكة الإنترنت ٢٠١٤/١/١٤ نقلاً لزعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، مؤكداً أنّ ما حدث من "قتل للمسلمين على يد تنظيم الدولة" سببه تأخّر الظواهري في الإنكار عليهم والتبرؤ منهم ومن أفعالهم، مضيفاً أنّ إسباغ الشرعية على تنظيم الدولة "أساء ويسيء إلى الجهاد وإلى التنظيم". للاطلاع على كلمة "أبو خالد السوري" على موقع يوتيوب، ٢٠١٤/١/١٤، على الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=zdqkb4iHHc0>

جانب البغدادي غداة إعلانه "الدولة"<sup>(١٦)</sup>. لذلك سعت جبهة النصر في بداية المواجهة إلى تحقيق مكاسب آتية، كاستعادة المقار التي خسرتها بعد إعلان الدولة ١٠ نيسان / أبريل ٢٠١٣، والحدّ من نفوذ "داعش"، ومساغيه الدائمة لإضعافها واجتذاب منتسبيها. لكن وبعد اتّساع المواجهة، وازدياد انتقادات المنظرين الجهاديين لداعش<sup>(١٧)</sup>، ورفضه مبادرة الشيخ المحيبي إعلان التنظيم العالمي لقاعدة الجهاد "عدم صلته" بداعش<sup>(١٨)</sup>، صعدت النصر من حدّة خطابها ضدّ داعش؛ فأصدرت في ٧ شباط / فبراير ٢٠١٤ بياناً بعنوان "وقد أعذر من أنذر" اتّهمت فيه "داعش" بـ"البغي" والاعتداء على مقارها في المنطقة الشرقية، وحذّرت من أنّ الشريعة أحلت "دفع الصائل"<sup>(١٩)</sup>. وبناءً على ذلك، بدأت النصر بالاشتراك مع كتائب الجهة الإسلامية في هجوم عسكري استهدف مقارّ "داعش" في دير الزور، والحسكة<sup>(٢٠)</sup>. يمكن الإشارة إلى تلك المواجهة بوصفها نقطة مفصلية في مسار الصدام بين "داعش" وجبهة النصر؛ فقد ترسّخت فنانة لدى النصر تتمثّل باستحالة بقاء "داعش" أو المصالحة معه. انطلاقاً من ذلك، بدأت لهجة النصر تحتدّ تجاه التنظيم، وتصف أعضاءه بالخوارج، والمضللين. ولا تقتصر أهمية هذه المواجهة على تباين الرؤى السياسية بين النصر وداعش، بل في الصراع على النفوذ والموارد؛ فالسبب الجوهري للصراع بينهما هو آبار النفط، ورغبة كلّ منهما في السيطرة على هذا المورد الاقتصادي المهم<sup>(٢١)</sup>. وبنجاح الجيش الحر بالاشتراك

١٦ من أبريل من أيد إعلان الدولة: أبو سعد العاملي، وأبو الحسن الأزدي، وأبو همام بكر الأثري، وأبو سفيان السلمي تربي البنعلي، وأبو المنذر الشنقيطي، وأبو محمد الأزدي، وأبو يوسف البشير، وغيرهم. للمزيد من التفاصيل، انظر: حسن أبو هنية، "الدولة الإسلامية في العراق والشام.. تتمرّد على القاعدة (٢)", عربي ٢١، ٢٠١٤/١/٥، على الرابط:

<http://arabi21.com/a-2/a-299/717864-a>

١٧ من أبريلهم: عصام البرقاوي، الشهير بـ"أبي محمد المقدسي"، وعمر محمود عثمان الملقّب بـ"أبو قتادة"، والدكتور إيد قنبي، والداعية السعودي الشيخ سلمان العلوان.. وآخرون. انظر: "داعش" يستنفر ضدّه الظواهري ودعاة 'الجهاد' في الخليج والأردن"، الحياة، ٢٠١٣/٢/٨، على الرابط:

<http://alhayat.com/Details/601252>

١٨ "القاعدة تنفي صلتها بالدولة الإسلامية في العراق والشام"، القدس العربي، ٢٠١٤/٢/٣، على الرابط:

<http://www.alquds.co.uk/?p=129773>

١٩ للاطلاع على بيان جبهة النصر بعنوان "وقد أعذر من أنذر"، على الرابط:

<http://justpaste.it/ec4z>

٢٠ "مقاتلو النصر" والجهة الإسلامية' يوسعون مواجهة 'داعش' شرقاً"، الحياة، ٢٠١٤/٢/٨، على الرابط:

<http://alhayat.com/Details/601364>

٢١ انظر: حمزة المصطفى، "النصرة" تحرم 'داعش' من الذهب الأسود: عن مصادر تمويل الحركات الجهادية"، زمان الوصل، ٢٠١٤/٢/١٤، على الرابط:

<http://www.zamanawsl.net/news/46571.html>



وملء الفراغ بعد خروج رئيس هيئة الأركان سليم إدريس من المنطقة، إثر مهاجمة "الجبهة الإسلامية" مقار الأركان المشتركة في منطقة باب الهوى في شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٣. وجدت هذه الرسالة استجابة سريعة من الائتلاف الوطني والحكومة المؤقتة وداعميها الإقليميين؛ إذ كشف معروف أنّ جبهة ثوار سورية والألوية التابعة لها "ستكون النواة الأولى لتشكيل الجيش الوطني الحر"، والذي تنحصر مهامه في "قتال نظام بشار الأسد والتنظيمات الأصولية"<sup>(٢٢)</sup>.

**جيش المجاهدين:** تشكّل في ٢ كانون الثاني / يناير ٢٠١٤؛ أي قبل يوم واحد من بدء المواجهة مع "داعش". لكن، وعلى الرغم من التطابق الكبير في الطروحات والأهداف، وعلى الرغم من كونها تعمل في الحيز الجغرافي نفسه وضمن غرفة عمليات مشتركة، لم تنضمّ الفصائل المشكّلة لجيش المجاهدين إلى "الجبهة الإسلامية"؛ ما يعني أنّه قد يكون جسماً إسلامياً موازياً ومنافساً للجبهة في الشمال ومهمّة محدّدة هي قتال "داعش". ضمن هذا الإطار، أعلن الجيش الحرب على "داعش" حتى "يحلّ هذا الأخير نفسه أو ينخرط في صفوف التشكيلات العسكرية الأخرى"<sup>(٢٣)</sup>. وتمكّن مقاتلو جيش المجاهدين من طرد "داعش" من معظم قرى ريف حلب الغربي، والأحياء الغربية في مدينة حلب بما فيها مستشفى العيون مقرّ "داعش" الرئيس في المدينة.

## موقف النظام

عزّز ظهور "داعش" على هامش الثورة وتمدّده في شمال سورية وشرقها على حساب فصائل المعارضة الأخرى، موقف النظام الذي أخذ قبل انعقاد مؤتمر جنيف (٢) يؤكّد أكثر أنّ معركته هي في مواجهة تنظيمات جهادية متطرّفة، معظم منتسبها من غير السوريين. ولأنّ حضور "داعش" وسلوكه يخدمان روايته ومواقفه داخل سورية وخارجها، تجنّب النظام الدخول في أيّ مواجهة قد تضعف التنظيم. بل على العكس، قام النظام بمساعدته في وجه فصائل المعارضة التي اجتمعت على قتاله وإخراجه من سورية. ومهد له الطريق في بعض الحالات؛ إذ قام طيرانه بقصف الفصائل التي كانت تدافع عن مدينة

مع جبهة النصرة، في طرد داعش من دير الزور، يكون التنظيم قد فقد أحد أهمّ موارده المالية التي تمكّنه من التوسّع والهيمنة، كما أنّه فقد جزءاً كبيراً من قوّته نتيجة قطع طريق إمداده وتواصله مع العراق، ليبقى معزولاً في الرقّة وبعض قرى ريف حلب الشرقي.

إنّ قيام "داعش" باغتيال "أبو خالد السوري" (وهو أحد قيادات حركة أحرار الشام الإسلاميّة، وقريب من قيادات تنظيم قاعدة الجهاد، كلّفه أيمن الظواهري بالتحكيم بين النصرة والدولة)، سيعزّز القناعة السابقة لجهة انزياح النصرة بصورة أكبر لقتال "داعش" وإخراجه نهائياً من سورية. كما أنّ هذا الاغتيال من شأنه أن يدفع حركات إسلاميّة كأحرار الشام، لرفع تحفّظاتها على ضرورة قتال تنظيم داعش حتى إخراجه من سورية.

”

إنّ قيام "داعش" باغتيال "أبو خالد السوري"، سيعزّز القناعة السابقة لجهة انزياح النصرة بصورة أكبر لقتال "داعش" وإخراجه نهائياً من سورية

“

**جبهة ثوار سورية:** برزت الجبهة خلال المواجهات الأخيرة قوّة عسكرية منظمّة توازي الفصائل الإسلامية الكبرى لجهة العدد والعتاد؛ فقد أخذت على عاتقها قتال "داعش" وطرده من معظم قرى ريف إدلب، وريف حماة الشمالي، والسيطرة على معظم مقارّه، على الرغم من الملاحظات على قائدها جمال معروف؛ ذلك أنّ مقاتليها (كتائب وألوية شهداء سورية سابقاً) الذين كان لهم دور كبير في قتال النظام خلال عام ٢٠١٢، تراخوا بعد خروج النظام من مناطقهم في ريف إدلب على الرغم من الدعم الكبير الذي يصلهم من الخارج، ما جعل بقية الفصائل - بخاصة الإسلامية - ترتاب في معروف ومقاتليه، وتعدّهم مشروع "صحوات" مدعومة سعودياً وغربياً، ولا سيّما أنّ الإعلان عن تأسيس "جبهة ثوار سورية" (١٠ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٣) جاء بعد أسبوعين من تأسيس "الجبهة الإسلامية" (٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٣).

بغض النظر عن مدى صحّة الادّعاءات السابقة، أصبحت "جبهة ثوار سورية" من أهمّ الفاعلين في الشمال. وحرص قائدها على تحديد مهامها بـ "قتال النظام والقاعدة" في رسالة إلى القوى المتوجّسة من نفوذ الجهاديين في الشمال السوري؛ سعيّاً وراء تلقّي الدعم والمساندة

٢٢ "قائد جبهة ثوار سوريا: نحن نواة الجيش الوطني وستنضمّ إلينا نصف كتائب المعارضة"، الشرق الأوسط، ٢٠١٤/١/١٢، على الرابط:

[http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=757370&issue\\_no=12829#.UtTo-56Swy4](http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=757370&issue_no=12829#.UtTo-56Swy4)

٢٣ "جيش المجاهدين في سوريا يعلن الحرب على الدولة الإسلامية في العراق والشام"، إيلاف، ٢٠١٤/١/٤، على الرابط:

<http://www.elaph.com/Web/news/2014/1/864094.html>

عندما سيطر التنظيم على بلدة الراعي المحاذية للحدود السورية التركية، ما أوقع عشرات القتلى من مقاتلي "داعش".

على الرغم من ذلك، فإن الموقف الغربي الراض حتى الآن تسليح المعارضة السورية، وتزويدها بالمقومات اللازمة لقتال النظام والتصدي لداعش في الوقت نفسه، سوف يعزز فرص استمرار التنظيم وبقائه، أو على الأقل قد يطيل عمره.

## خاتمة

يمكن القول إن المعركة مع "داعش" قد انطلقت، وسوف تتطور وتتسع، حتى تستعيد الثورة السورية نفسها. لقد كشفت هذه المعركة - وإن كان متوقعاً أن تكون طويلة وصعبة - حجم قوة "داعش" العسكرية المحدودة؛ بعكس ما كان يروج في أوساط الجهاديين، وفي دوائر الإعلام الغربي. وبدأ واضحاً أن قوة "داعش" تكمن في مستوى إجرامه، وخوف المجتمع منه. وفي هذا قدّم "داعش" نموذجاً منفراً لكثير من شرائح المجتمع السوري في ما يتعلّق بطروحاته عن الدولة الإسلامية، وتحكيم الشرع بالقوة والإكراه.

وكشفت المواجهات من زاوية أخرى حجم تلاقي المصالح بين "داعش" والنظام، وبخاصة عندما هدّد "داعش" ونفّذ تهديداته بإخلاء مناطق للنظام؛ كما حصل في حيّ النصارين في حلب. ولا يمكن لمراقبي النظام أن تفوته ملاحظة حجم الإرباك الذي تسبّب فيه اجتماع فصائل المعارضة السورية على قتال "داعش" وإخراجه؛ فقد كان النظام مرتاحاً لتضاعف نفوذ الجهاديين، لأن ذلك يعزّز من جهة روايته عن الثورة منذ البداية بأنها "مؤامرة سلفية إرهابية" تستهدف "علمانيته وتسامحه"، ومن جهة أخرى أضعف ذلك قدرته على توظيف مسألة الجهاديين، لإعادة تأهيل نفسه دولياً بوصفه طرفاً معترفاً به في "مكافحة الإرهاب".

أما اجتماع فصائل المعارضة لأول مرة منذ عسكرة الثورة على قتال "داعش"، فيعدّ فرصة لبناء جسم عسكري موحد يكون نواةً لجيش وطني يمثل الثورة وأهدافها، ويضمّ الفصائل العسكرية الوطنية بمختلف توجهاتها الفكرية والسياسية، بعد أن يكون هناك موقف واضح وصریح جرى اتخاذه من التنظيمات التي أضرت بالثورة سياسياً وعسكرياً.

الباب الواقعة شمال حلب، والتي كان يحاصرها "داعش"، ما سهّل استيلاءه عليها. وبناءً عليه، ثمّة فنانة بأن "داعش" وإن كان يعبر عن مزاجٍ متطرفٍ مرّضٍ ومهوس، وعن عطب حقيقي خلفه الاستبداد في المجتمعات العربية، قد تكون أجهزة مخابرات النظام وحلفائه اخترقته فعلاً. وبالنتيجة، إذا كان "داعش" يخدم أجندة النظام سواء بقصدٍ أو بغير قصد، فإن مصلحة النظام تقتضي استمراره وعدم انهياره أمام اجتماع فصائل المعارضة السورية على التخلّص منه ومن ممارساته.

”

ولأن حضور "داعش" وسلوكه يخدمان روايته ومواقفه داخل سورية وخارجها، تجنّب النظام الدخول في أيّ مواجهة قد تضعف التنظيم. بل على العكس، قام النظام بمساعدته في وجه فصائل المعارضة

”

## العامل الخارجي

كان للعامل الخارجي أثره في توسّع الجماعات الجهادية في سورية وانتشارها؛ فغياب إجراءاتٍ دولية رادعة ضدّ النظام، وازدياد المجازر والضحايا أدّى إلى عدم "اعتراض" شرائح من المحتجين على نشاط الجماعات الجهادية بعد أن رفضت مشاركتها بداية الثورة، ولا سيما أنّ هذه الحركات أخذت على عاتقها قتال قوات النظام، والتصدي لهجماته على المدن والقرى. وفي مرحلة لاحقة، رفضت القوى الغربية تسليح كتائب الجيش الحرّ، وضيقت على بعض الدول التي تقدّم السلاح للثوار. الأمر الذي أدّى إلى إضعاف الجيش الحرّ، وهو ما أدّى بدوره إلى ازدياد نفوذ الجماعات الجهادية كونها تعتمد في تسليحها وتمويلها على مصادر غير تقليدية تأتي من التبرعات والغنائم التي تكتسبها من مهاجمة الثكنات العسكرية الكبرى. ونتيجة لاستمرار هذا التوجّه، بدأ ميزان القوى يميل لفائدة الحركات الجهادية، الأمر الذي عزّز حضورها ونفوذها، لا سيما بعد أن بدأت تفرض سيطرتها على طرق الإمداد الرئيسة والمعابر الحدودية؛ كما جرى مع "داعش" في معبر باب السلامة/ أعزاز، ومعبر تل أبيض/ الرقة. الأمر الذي حدا بالجيش التركي إلى استهداف "داعش" ولأول مرة في ٢٩ كانون الثاني / يناير ٢٠١٣،